﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ٣٧﴾ [الزمر: 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

هذه الآيةُ والتي قبلَها معنًى كلّيٌّ واحدٌ

لَمّا بيّنَ اللّهُ تعالى في الآيةِ السّابقة أنَّ جميعَ العبادِ في قبضتِه، وأنْ لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بحولِه وقوّتِه؛ وهذا ظاهرٌ في مسألةِ الإضلالِ فمَن يُضلُّه اللّهُ فلا هاديَ له؛ بيَّنَ في هذه الآيةِ صورةً مُقابلةً لهاتِه؛ وهي صورةُ أنّ من يهده اللّه فلا مُضِلَّ له، ثمّ ختمها بما يَرْجِعُ إلى صدرِ الآيةِ السّابقةِ رجوعَ العَجُزِ على الصَّدْرِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱنتِقَامٖ﴾: (نقم) أصلٌ يدلُّ على إنكارِ شيءٍ وعيبِه؛ يُقال: نَقَمْتُ عليه، أَنْقِمُ: أنكرتُ عليه فِعْلَه، والنِّقْمةُ من العذابِ والانتقام؛ كأنّه أنكَر عليه؛ فعاقَبَه؛ فقولُه: نَقِمْتُ ونَقَمْتُه: إذا أنكرْتَه؛ إمّا باللِّسانِ، وإمّا بالعُقوبة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التّوبة: 74]. والنِّقْمةُ العُقوبةُ: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الأعراف: 136]. والمقصودُ بقوله: ﴿ذِي ٱنتِقَامٖ﴾ أنَّ له سبحانه أنْ يُعاقِبَ من يشاءُ من عبادِه[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مِن شأنِه تعالى أنْ يَحْمِيَ المُهْتدينَ

بينت هذه الآيةُ القسمَ الثّاني، وهو الهداية المقابلَ للقِسْمِ الأوّلِ وهو الإضلالُ الذي سبَق ذِكْرُه في الآيةِ السّابقة؛ فقرَّرَت هذه أنَّ هُدَى اللّه إذا أصابَ عبدًا فلا مُضلَّ له؛ ثمّ توعّدَ تعالى الذين يُخوِّفون عبدَه بالذين هم من دونِ اللّهِ بعِزّته وانتقامِه؛ فكان ذلك، وانتقَم منهم يومَ بَدْرٍ وما بعدَه[2].

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والرَّاغب، المُفردات: (نقم).
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 532.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ الوَصْلِ بالواوِ ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾:

هذه الجملةُ من لـوازمِ كفايتِه تعالى

قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾: معطوفٌ بالواو على قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾؛ لِما بينهما من التّوسُّط بين الكماليْنِ؛ فكلٌّ منهما خبرٌ في اللّفظ والمعنى، وبينهما تقابلٌ وتضادٌّ، والمُسندُ إليه فيهما واحدٌ، وبينهما تشاكُلٌ في البناءِ والنَّظْمِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالهدايةِ في قوله: ﴿وَمَن يَهۡدِ﴾ مادَّةً وصيغةً:

مَن وُفِّقَ للهُدَى ليس له أنْ يَغْتَرَّ به

عبَّر القرآنُ بالهدايةِ في مقابلِ الإضلالِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾ تنبيهًا على أنَّ كلًّا من الصِّدْقِ والتّصْديقِ الذي أقامَ اللّه فيه أهلَ الإسلامِ والإيمانِ إنّما بفَضْلِه وتوفيقِه؛ فهو خالقُ أسبابِ ذلك؛ لأنَّ "الهداية هي الدَّلالةُ بلُطْفٍ"[1]. ففيه تنبيهٌ على امتنانِ اللّه عليهم بأنْ هداهُم إلى الحقِّ بهدايتهم إلى الصِّدْقِ والتّكذيبِ، وهذا من شأنِه أنْ يُثبِّتَهُم على الحقِّ وما هم فيه، وأنْ يُسلّيَهُم عمّا يَلْقَوْن من إيذاءٍ وضررٍ وسوءٍ.

وفي التَّعبيرِ بالمضارعِ دلالةٌ على تجدُّد خلقِ أسبابِ الهدايةِ، وعلى المُهتدي أن يسأل اللّهَ التَّثبيتَ وألّا يغترَّ بحُسنِ حالِهِ من الاهتداءِ.

دلالةُ إسنادِ الهدايةِ إلى الله:

اللهُ تعالى خالقٌ لأسبابِ الهدايةِ

أسندَ القرآنُ الهدايةَ إلى اللّهِ تعالى في قوله: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه سبحانه خالقٌ لأسبابِ الهدايةِ، وذلك من كمالِ حكمتِهِ في الخلقِ وهيمنتِهِ واقتدارِه عليهم، وفيه تقريرٌ لحقيقةِ خلقِ أسبابِ الهدايةِ وتحريكِ نفسِ المؤمنِ للبحثِ عنها فيزداد ثبوتًا على هذه الهدايةِ.

(1) الراغب، المفردات: (هدى).

دلالةُ حذفِ العائدِ في قولِهِ: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾:

إذا أرادَ اللهُ هدايةَ أحدٍ فلا مُضلَّ له

حذفَ القرآنُ الكريمُ العائدَ على اسمِ الشَّرطِ في قوله: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾، وتقديره: (ومن يهده الله)، وذلك لتصويرِ كمالِ قدرتِهِ سبحانَه على خلقِهِ ونفاذِ أمرِهِ فيهم؛ فإذا أرادَ هدايةَ أحدٍ من الخلقِ؛ فلا يستطيعُ أن يُضلِّه أحدٌ.

دلالةُ التَّعبيرِ بإظهارِ اسمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

تتجلَّى الأُلوهيّةُ الحقَّةُ في هدايةِ من شاءِ

جاءَ التّعبيرُ القرآنيُّ بإظهارِ اسمِ الجلالةِ في قوله: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾ دون أن يقول: (ومن يهديه)؛ لتحقيق مضمون الكلام ولتربية المهابة، وللتّنبيه على ظهور الأُلوهيّة الحقَّة ظهورًا بيّنًا في هداية من شاء.

وممّا يُذكر في سِرِّ التَّعبير بالإظهارِ دون الإضمارِ كونُه وَرَدَ في صدرِ آيةٍ مُستقلَّةٍ نظمَ فيها معنى الهدايةِ؛ بخلافِ الجملةِ السّابقةِ التي نَظَمَ فيها معنى الإضلالِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفاءِ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾:

إرادةُ اللهِ في الهدايةِ والإضلالِ لا رادَّ لها

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ واقعةٌ في صدرِ جوابِ الشَّرطِ؛ لأنَّه جملةٌ اسميةٌ وربطت بين الشَّرطِ والجواب والتَّعبيرُ بها يدلُّ على قوَّةِ تلبُّس الهداية بمَنْ هداه اللهُ؛ فلا يستطيع أحدٌ أن يُضلَّه، ولا أنْ يصرفَه عمّا هو فيه من هذا الفضلِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(ما) في: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾:

مَن أخذَ بأسبابِ الهدايةِ فلن يصرفه أحدٌ عن مقصدِهِ

دلَّ التَّعبيرُ بـ (ما) في قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ على النَّفي في الحالِ والاستقبالِ، والمعنى أنَّ من أخذَ بأسبابِ الهدايةِ فلن يصرفه أحدٌ عن مقصدِهِ، ولن يُصيبَه بسوءٍ يُخلُّ بسلوكِهِ، ولن يُثنيَه عن الاهتداءِ أحدٌ لا في الحالِ ولا في المستقبلِ، وفي هذا إبرازٌ لجانبٍ من جوانبِ عَظَمَةِ الأُلوهيَّة التي لا رادَّ لفعلِها ولا معارضَ لإرادتِها.

دلالةُ اللّامِ في قولِهِ: ﴿لَهُۥ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ تُفيد الاختصاصَ الذي تضمَّنته الإضافةُ؛ فتكون تمهيدًا للقصر الحاصل بتقديم ﴿لَهُۥ﴾ على ما بعده، وذلك للتَّأكيد على إثبات أمرِ الإضلالِ والهدايةِ للّه تعالى وأنَّ ذلك بيدِهِ وحدَه فقط.

الـهـدايـةُ والإضـلالُ بيدِ اللهِ وحدَهُ

دلالةُ الضَّميرِ في ﴿لَهُۥ﴾:

الضَّميرُ في ﴿لَهُۥ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ راجعٌ إلى ﴿مَنۡ﴾، والمُراد به (المهتدى)، وفي التَّعبير به دون صريح الوصف إيجازٌ يساعدُ في إبرازِ البلاغةِ القرآنيّةِ في الحُكم والقضاءِ، وفيه إنباءٌ بمُلكهِ ﷻ وتدبيرِه لأمرِ عبادِه.

الأمـرُ كلُّه للهِ وهـو المُـدبِّـرُ لشئونِ خلقِهِ

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿مُّضِلٍّ﴾ مادَّةً وصيغَة:

عبَّر القرآنُ بوصفِ الإضلالِ في قوله تعالى: ﴿مُّضِلٍّ﴾؛ لأنَّ مطلوبَه في المُهْتدي هو أنْ يُضلَّه عن الحقِّ والصَّوابِ والخيرِ. ونظَمَه القرآنُ اسْمَ فاعل ﴿مُّضِلٍّ﴾ إشارةً إلى ثُبوتِ النَّفْي، وإنَّ هدفه هو مُطلقُ إضلالِهِ وإيقاعِه في أيِّ صورةٍ من صوَرِ الإضلالِ، ويدلُّ التَّعبيرُ على أنَّه دائمٌ في محاولةِ إضلالِهِ مُستمرٌّ فيها في كلِّ وقتٍ.

كلُّ مهتدٍ له عدوٌّ من أهلِ الضَّلالِ والإضلالِ

بلاغةُ الكنايةِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾:

أراد القرآنُ من نفي المُضِلِّ في جملةِ: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ نفيَ حصولِ الضَّلالِ؛ فكنّى عن عدم حصول الضَّلالِ بانتفاء المُضِلِّ؛ لأنَّ عدم الضَّلالِ يجعلُ مُضِلَّهُم كالمنفيِّ؛ فهو نفيٌ للمقصودِ بدليلٍ؛ وهذا أبلغُ في تقرير المطلوب.

لا إضـلالَ، ولا ضلالَ

دلالةُ التَّنكيرِ في قولِهِ: ﴿مُّضِلٍّ﴾:

نَظَمَ القرآنُ الكريمُ المُسنَد إليه في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾؛ لإفادة العموم؛ أيْ: (فما له مُضلٌّ من قريبٍ أو بعيدٍ في

مَـنْ هـداهُ اللهُ فلا يمكنُ لأحدٍ أن يُضلَّه

الظّاهرِ والباطنِ)، ويُؤكِّد هذا ﴿مِن﴾ التي تُفيد استغراقَ النَّفيِ وشمولَ جميع أفرادِ المَنفيّ.

بلاغةُ الطِّباقِ ﴿يُضْلِلِ﴾ و﴿يَهْدِ﴾، و﴿هَادٍ﴾، و﴿مُّضِلٍّ﴾:

الطِّباقُ يجمعُ في الذِّهْنِ صورتَيِ الهداية والضَّلال في وقتٍ واحدٍ

في الجَمْعِ بين معنى ﴿يُضْلِلِ﴾، و﴿يَهْدِ﴾ مُحسِّنُ الطِّباقِ، وكذلك الجَمْعُ بين معنى ﴿هَادٍ﴾، و﴿مُّضِلٍّ﴾؛ ففي هذا دعوةٌ قويَّةٌ إلى المقارنة بينَ قِسْمَيِ المعنى اللّذيْنِ يشتملانِ على عناصر الطِّباقِ، وتأمُّلِ كلٍّ من قِسْمَيِ المعنى في نورِ الآخَرِ؛ لأنَّ فيهما نموذجيْنِ مُتلازمينِ في الدُّنيا؛ تلازُمَ اللّيلِ والنّهارِ؛ فلا يخلو من أحدهما زمانٌ ولا مكانٌ؛ وهذا تجسيمٌ للمعنى المُراد عند مُتلقّيه.

دلالةُ المجاورةِ بفاصلةِ الآية:

بشارةُ المؤمنين بنصرِ اللهِ لهم على أعدائِهم

جعَل القرآنُ قولَه تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ مجاورةً لفاصلةِ الآيةِ، وهي جملة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ - وجعلَهما في آيةٍ مستقِلَّةٍ؛ إشارةً إلى خصوصيَّةٍ لأهلِ الهُدى والصِّدْقِ والتَّصْديقِ بمزيدِ إكرامِهم بحمايَتِهم والدِّفاعِ عنهم، وتبشيرُهُم بأنَّ اللّه ناصِرُهُم لا محالةَ؛ لأنَّهُ العزيزُ، ومنتقمٌ من أعدائهم في الدُّنيا وفي الآخرة؛ لأنَّهُ ذو انتقامٍ.

سِرُّ فَصْلِ فاصلةِ الآيةِ عمّا قبلها:

هذه الجملةُ نتاجُ جميعِ ما قبلَها، وتعليلٌ في المعنى لهُ

وقعَتْ جملةُ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ مفصولةً عمّا قبلَها: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾؛ لأنَّها تعليليّةٌ؛ فإنَّ الذي لا يَرُدُّ أحدٌ حُكْمَه من إضلالِ أحدٍ أو هدايته لهو العزيزُ الذي يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ ولا يُغالَبُ. ثمّ إنّه تعالى ينتقم لأهل هدايته من إهل إضلاله؛ إذا أرادوا بهم سوءًا.

ذهَب ابنُ عاشورٍ إلى أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ اعتراضٌ بين جملة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، وجملةِ:

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ﴾، وقد قُصِد من الاعتراضِ بيانُ أنَّ ضلالَهم داءٌ عياءٌ؛ لأنّه ضلالٌ مُكوَّنٌ في نفوسهم وجِبلَّتِهم قد ثبَّتَتْه الأيّام، ورسّخه تعاقُبُ الأجيال، فرانَ بغشاوته على ألبابهم، فصار ضلالُهم كالمجبول المطبوع، وأمّا جملةُ: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلّٖ﴾ فقد استدعتها جملةُ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾؛ حيثُ أفْهَمَتْ وجودَ فريقيْنِ وعقيدتيْنِ[1].

ضلالُ المشركين داءٌ راسخٌ في نفوسِهم وجِبلَّتِهم

بلاغةُ التَّوافُقِ في النَّظْم:

تشابهت جملةُ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ﴾ بجملة ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾؛ فالتّشابهُ بينهما واضحٌ وما بينهما اعتراضٌ؛ لأنَّها لو وردَت عقبَها لكانَتْ تعليلًا في المعنَى لها، ولكانَتْ لازمًا من لوازمِها، ولمّا كان من الضّروريّ أيضًا إخلاصُ العبادةِ للكافي عبدَه فإنّ من الضّروريّ إخلاصَ العبادةِ للعزيز ذي الانتقام. وهاتانِ الجملتانِ مُتَّفقتانِ في النَّظْم، فتكونُ هاتِه الثّانيةُ راجعةً إلى الأولى؛ من ردِّ العجُزِ على الصّدْرِ - ليس من جهة المعنى فقط؛ حيثُ إنَّ كفايته (تعالى) مُؤسَّسَةٌ في السّياق على عزَّته وأنَّه ذو انتقام - من جهةِ صورةِ المعنى؛ وبهذا يترابَطُ الكلامُ والمعاني، وتصيرُ شُبْكةً واحدةً.

بيانُ شدّةِ التّرابطِ بين الجُملِ ومعانيها

بلاغةُ الاستفهامِ في فاصلةِ الآية:

صدرتْ جملةُ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ﴾ على الاستفهام بالهمزة؛ وغرضُه التَّقريرُ بعزّة الله وقوّةِ انتقامِه من أعدائه؛ لأنَّ العلْم بعزَّة الله مُتقرِّرٌ في النُّفوس؛ لاعترافِ الكلِّ بألوهيَّته، والألوهيَّةُ تقتضي العزَّةَ، ولأنَّ العلْم بأنَّه منتقم مُتقرِّرٌ؛ من مُشاهَدة آثارِ أخْذِه لبعضِ الأُمَم؛ مِثْل عادٍ وثمودَ، فإذا كانوا يُقِرّون لله بالوصفيْنِ المذكوريْنِ فما عليهم إلّا أنْ يعلموا أنَّه كافٍ عبدَه بعزَّته

أهلُ الضَّلالِ والكذبِ في افتقارٍ شديدٍ إلى تأمُّلِ مضمونِ هذه الجملةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 14 - 15.

فلا يقدرُ أحدٌ على إصابةِ عبدِه بسوءٍ، وبانتقامِه من الذين يُخوِّفون عبده بالأذى، وفيه تهديدٌ لمُناوِئي الدَّعوة وخُصومِ الإسلام، وكلُّ ذلك من دلالةِ الاستفهام[1].

دلالةُ التّعبيرِ باسمِ الجلالةِ مُظْهَرا:

الـذي بيـدِه كلُّ شيْءٍ عـزيـزٌ ذو انتقامٍ

لَمّا كانَ في جملةِ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ كلُّ وعيدٍ وتهديدٍ صريحٍ لأهلِ الكذبِ والتَّكذيبِ والذين أرادوا تخويفَ حبيبِ الحقِّ ﷺ كان الأبلغُ تحقيقَ ذلك، وتفخيمَه وتعظيمَه بذِكْرِ اسم الجلالةِ.

دلالةُ الباءِ في قولِهِ: ﴿بِعَزِيزٍ﴾:

العَظَمَةُ الإلهيَّةُ مـن شـأنِـها أنْ تُرْعِبَ وتُرْهِبَ

الأصلُ في نظم جملة ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ خلوُّها من الباء الدّاخلةِ على الخبرِ ﴿بِعَزِيزٍ﴾؛ وإنّما دخلتِ الباءُ لتوكيدِ مضمونِ الجملةِ؛ حيثُ إنّ معنى الإلصاقِ والاختلاطِ لا يُفارِقُها؛ فتدلُّ هنا على أنَّ من شأنِه تعالى أنْ يكون عزيزًا ذا انتقامٍ، وأهلُ الشِّرْكِ يدلُّ لسانُ حالِهم ومقالِهم على إنكارِهم ذلك على سبيلِ الجَزْمِ؛ ألم يُحاوِلوا تخويفَه ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؟ ومِن كمالِ التَّرهيبِ والتّهديدِ والوعيدِ الإسراعُ إلى تحقيقِ آثارِ عزّته وانتقامه، على ما يُفْهِمُه قِصَرُ التّعبيرِ مع وجودِ الباءِ، ولو قيل: (أليس الله عزيزًا) بالنَّصْبِ؛ لكان فيه تطويلٌ من حيثُ اللَّفظُ.

سِرُّ التَّعبيرِ بـ(عزيز):

لـفـظُ (عـزيـز) الأنسبُ لتحقيقِ الـكـفـايـةِ بـكـلِّ معانيها

عبَّر القرآنُ بوصفِ العِزَّةِ (عزيز) خبرًا عن اسمِ الجلالةِ في قولِه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾؛ لأنَّه الأنسبُ والألصقُ بما قبلَه؛ فهو الأنسبُ بالكفايةِ في قولِه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، والتي ينتُج عنها نصرُ عبدِه ﷺ على عدوِّه وغلبتُه عليه، وأنَّ لا يتمكَّن عدوُّه منه. وهو الرّادُّ على التّخويفِ الذي في قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾. وهو الأنسَبُ بما في السّياق؛ "مِن أنّه لا يهدي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 15، والمطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 436.

أحدٌ من أضلَّه اللهُ، ولا يُضِلُّ أحدٌ من هداهُ اللهُ؛ لأنَّ العزيزَ هو المُتفرِّدُ، وهو الذي لا يُغالَبُ"[1]. وهو صفةٌ مُشْتقّةٌ من العِزِّ؛ وهو مَنَعَةُ الجانبِ، وأنْ لا يَنالَه المُتسلِّطُ، وهو ضِدُّ الذُّلِّ[2].

سِرُّ التّنكيرِ في قولِه: ﴿بِعَزِيزٍ﴾:

نظَمَ القرآنُ خبرَ (ليس) نكرةً في قولِه تعالى: ﴿بِعَزِيزٍ﴾؛ للدّلالةِ على التّعظيمِ والتَّهويلِ؛ أيْ: إنَّ اتِّصافَه تعالى بالعِزَّة بالِغٌ مبلغًا لا يُمكن معَه التَّحديدُ أوِ التَّعيين، وأنَّ أهلَ التَّخويف والكذب والتَّكذيب كأنَّهم لا يعلمون شيئًا عن عِزَّته تعالى، وأنَّهم سيلقون نوعًا من الغَلَبَة ومنعةِ الجانبِ لم يعرفوه قبلُ، وهذا بلا ريبٍ إبلاغٌ في تهديدِهم وإرعابِهم وترهيبِهم ممّا هم فيه من أحوالٍ جعلتهم أظلمَ الخَلْقِ.

الدّلالةُ على التَّعظيمِ والتّهويلِ

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾ دونَ منتقم:

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بقولِه: ﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾، ولم يَقُلْ: (منتقم)؛ للدّلالةِ على أنَّ له تعالى شأنًا عظيمًا أيَّ شأنٍ في بابِ الانتقام، ودلَّ بقوله: ﴿ٱنتِقَامٍ﴾ على الغضبِ الإلهيِّ؛ لأنّه يتضمَّنُ الإنكارَ على أهلِ التَّخويفِ والكذبِ والتّكذيبِ تخويفَهُم وكذبَهم وتكذيبَهم، والعقوبةَ على ذلك، ولمّا كان هذا الوصفُ يرجعُ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾، وهم الذين أرادوا تخويفَ أشرفِ الخَلْقِ ﷺ فكان التَّعبيرُ بقوله: ﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾ هو الذي يُناسِبُ حالَهُم من التَّهديدِ والوعيدِ الشَّديد والإبلاغ فيهما.

أيُّ ترهيبٍ أشدُّ من وعيدِه بانتقامِه؟!

ومِمّا يُذكرُ في سِرِّ التَّعبيرِ بقولِه: ﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾ دون (منتقم) أنَّه لم يَرِدْ في أسماء اللهِ الحسنى؛ وإنما جاء باسم الفاعل مُقيَّدًا في قولِه: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: 22]، وفي هذا دليلٌ على أنَّ رحمةَ اللهِ تسبقُ غضبَه، وأنَّ الانتقامَ لا يقعُ إلّا لصاحبِ الجريمةِ.

رحمةُ اللهِ تسبقُ غضبَه

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 254.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 15.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»